جهود الزمخشري النحوية في كتابه المفصل في صنعة الإعراب

إعداد/

د. إعتدال عبد الحي حاج عيسى محمد

الأستاذ المشارك بجامعة الجزيرة كلية التربية حنتوب- تخصص النحو والصرف

د. خالد آدم خالد آدم

الأستاذ المساعد بجامعة القضارف كلية التربية-تخصص النحو والصرف

د. فضل الله جباره الطاهر أبو ريدة

الأستاذ المساعد بجامعة غرب كردفان كلية التربية-تخصص النحو والصرف

د. زينب أحمد عمر البشير

جامعة دنقلا- تخصص أدب

المستخلص:

تناولت الدراسة جهود الزمخشري النحوية في كتابه المفصل، وتأتي أهمية الدراسة في أنَّها تضمنت اجتهادات الزمخشري النحوية في كتابه المفصل، وهدفت الدراسة إلى: الكشف عن جهود الزمخشري النحوية في كتابه المفصل، و الوقوف على الفكر النحوي للزمخشري في كتابه المفصل، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي والاستقرائي، وتوصلت من خلال ذلك إلى النتائج الآتية: وُفِق الزمخشري في تقسيمه لكتابه " المفصل " حيث تمَّ تقسمه إلى الأسماء والأفعال والحروف وهو بهذا التقسيم لم يغفل أي جانب من جوانب اللغة أي كل فروع النحو تقريباً ،ولم يركن الزمخشري إلى من خالف الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف , بل استشهد به وعده مصدرا من مصادر اللغة، في تناوله للقضايا النحوية لم يكن منحازاً تماما الانحياز لأي مدرسة من

المدارس النحوية, بل كانت آراؤه سديدةً تنمُ عن فكره الثاقب، وتوصي الدراسة بالبحث عن أفكار علماء النحو وآراءهم في أسفارهم التي ألَّفوها.

Abstract

This study examines al-Zamakhsharn ’s grammatical contributions as presented in his book Al-Mufannal
. The significance of this study lies in its analysis of al-Zamakhsharn ’s independentgrammatical judgments and scholarly efforts reflected in this work. The study aims to identify and analyze al-Zamakhsharn ’s grammatical contributions in Al-Mufannal and to elucidate his grammatical thought as articulated therein. To achieve these objectives, the study adopts both descriptive and inductive research approaches.
The findings indicate that al-Zamakhsharn successfully structured Al-Mufannal by classifying it into nouns, verbs, and particles, a systematic organization through which he addressed nearly all branches of Arabic grammar without neglecting any linguistic aspect. Furthermore, al-Zamakhsharn did not adhere to the position of those who opposed citing Prophetic Hadith as linguistic evidence; rather, he employed Hadith as a valid source of the Arabic language. In his treatment of grammatical issues, he did not demonstrate rigid allegiance to any single grammatical school; instead, his views reveal sound scholarly judgment and keen intellectual insight.
The study concludes by recommending further scholarly investigation into the ideas and perspectives of classical grammarians as preserved in their written works.

مقدمة:

لعلماء النحو الأجلاء اجتهادات خلدها التاريخ من مؤلفات حسان وتأليف ثمان فهي ثمرة جهودهم، قد أثرت ساحة البحث العلمي بالبحث عن أفكارهم وآراءهم والكشف عن هذه المجهودات العظيمة، فمن الباحثين من حقق مؤلفاتهم ومنهم ابتكر نهجاً يظهر فيه جهد أولئك

العلماء وتبيان دورهم في النهوض بالفكر النحوي، ومن هنا تشكلت مشكلة الدراسة بالسؤال الآتي: ما جهود الزمخشري النحوية في كتابه المفصل؟.

أهمية الدراسة:

وتنبع أهمية الدراسة في أنَّها اشتملت على اجتهادات الزمخشري النحوية في كتابه المفصل وما تضمنه من أفكار وآراء.

أهداف الدراسة:

1/ الكشف عن جهود الزمخشري النحوية في كتابه المفصل.

2/ الوقوف على الفكر النحوي للزمخشري في كتابه المفصل.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة من أجل الوصول إلى نتائج المنهج الوصفي و الاستقرائي .

الدراسات السابقة:

ومن الدراسات السابقة دراسة بعنوان: تطور النحو العربي في القرن السادس الهجري من خلال كتاب المفصل للزمخشري، رسالة ماجستير منشورة، للطالب آية معطا الله وإشراف أ.د مصطفى حجاج، بتاريخ 2024م 1445هـ ، وتوصلت إلى أنَّ الزمخشري يعد أول من استخدم نظام الجملة الاسمية والفعلية واستفاد من ذكر الجرجاني لهذا المصطلح وأذاعه، وتناولت دراستنا الفكر النحوي للزمخشري من خلال كتابه المفصل وانفردت دراستنا في إبراز جهود الزمخشري في المفصل.

هيكل الدراسة:

وتشكلت هذه الدراسة من مبحثين:
المبحث الأول: حياة الزمخشري.

المبحث الثاني: جهوده النحوية
خاتمة تشمل النتائج والتوصيات

حياة الزمخشري: اسمه ونسبه :

اتفق كل من ترجم للزمخشري في اسمه , حيث ذُكر أنَ اسمه : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري جار الله, ولد بزمخشر يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة 467 هجرية (نزهة الألباء، ص274)

نشأته وسيرته :

نشأ أبو القاسم في خوارزم وبها تعلَم وأخذ العلم من جماعة من شيوخها أشهرهم أبو مضر محمود بن جرير الضبي , ثم رحل إلى الحجاز وأقام بها مدةً جاور فيها بمكة مرتين حتى اشتهر باسم جار الله واتصل هناك بعلي بن وهاس , ودخل خراسان كما ورد بغداد أكثر من مرة أنظر(نزهة الألباء، ص274)

قُطِعت رجله بسبب خُرّاج وقبل أصابها برد الثلج, وقيل : سقط عن دابتِه فانكسرت وصنع عِوضها رجلا من خشب , وكان إذا مشى القى عليها ثيابه الطوال فيظن منْ يراه أنّه أعرج(النجوم الزاهرة ، ج5، ص243) .

كان إمام عصره غير مدافع , تشد إليه الرحال في فنونه, وكان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به , أي لا يخجل من إعلانه وإظهاره " وهو علمٌ فذٌ من أعلام المؤلفين بالعربية و في إطار الحضارة الإسلامية , زهز منسوب إلى زمخشر في إقليم خوارزم في الجنوب الشرقي من آسيا الوسطى ، كان أبو القاسم إضافة إلى علمه الغزير وأدبه الوافر, محمود السيرة صاحب دين وورع , ويتبين ذلك جليا , عند ما نقرأ له بعض ما كتب , كما في " أطواق الذهب " : (احرص وفيك بقية على أن تكون لك نفسٌ نقية فلن يسعد إلا التقيُ وكل ما عداه فهو شقيٌ)(أطواق الذهب، ص33)

وقال : (منْ استوحش المنكرات استأنس عند السكرات وطوبي لمن سرّه المعروف فاهتز وساءه المنكر فاشمأزّ , وقام بأمر الله في إهانة الأشرار وعصب سَلَمتهم وفي إعانة الأبرار ونصب كلمتهم) أنظر (أطواق الذهب ص34)

ويقول في ديوانه :

المرءُ فِي دنياه لَيْسَ بخالدٍ ××××××××××× فَعَلامَ يَطلبُهَا بِجُهْدٍ جاهداً

هُوَ طَالِبُ الدُنيَا وطالبُهُ الرَّدَى ×××××××××× والطالبُ الفلكيُّ أسرعُ واحداً[1]

وكان رجلاً صالحا يدعو إلى كبح جماع النفس قال في مقاماته : (ولا تُطِعها إنّ النفسَ لأمارةٌ بالسوءِ, تطلب منك أنْ يكون مسكنها داراً قوراء وسَكنَها مهاة حوراء تجر في عرصتها فضول مرطها) أنظر (مقامات الزمخشري / ص78) .

لم يتزوج بل دعا إلى عدم الزواج , وهو عنده أكمل قال : (لا تخْطِب المرأة لحسنها ولكن لحصنها فإن اجتمع الحصن والجمال فذاك هو الكمال , وأكمل من ذلك أن تعيش حصوراً وإن عمرت عصوراً) أنظر (أطواق الذهب المقالة 97 / ص107 . والانصراف إلى العلم عنده أجدر من الزواج حيث قال :(وتسويدٌ بخط الكاتب أملح من توريد بخد الكاعب) أنظر (نوابغ الكلم ص8).

وكان معتزليا داعية إلى الاعتزال مجاهرا به شديد الإنكار إلى غيرهم حتى نقل عنه أنه إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن : قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب . أنظر (وفيات الأعيان ج4/ ص 255 . وكان محباً للعرب والعربية قال : (العرب نبع صلب المعاجم والعرب مثل الأعاجم) أنظر (نوابغ الكلم / ص3) . وقال في مقدمة كتابه المسمى " المفصل" : (اللهَ أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية , وجبلني على الغضب للعرب والعصبية , وأبى لي أن انفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز وأنضوي إلى لفيف وأنحاز) أنظر (المفصل في علم العربية / ص1 . توفى أبو القاسم بجر جانية خوارزم بعد

[1]/ ديوان الزمخشري ص 36

رجوعه من مكة ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة الموافق 14/ 6/ 1144 . أنظر (نزهة الالباء /276 وبغية الوعاة / 388 والأعلام للزر كلي 8/ 55 .

ثقافته :

تلقى أبو القاسم العلم في حياته الأولى في خوارزم واتصل بشيوخها ولم يقم طوال حياته فيها بل طاف البلاد وسمع من مشايخ متعددين , ولم يكن مبرزاً في علم واحد , بل في عدة فنون فقد كان نحويا فاضلاً وسمع الحديث وتفقه وصار إمام عصره في عدة علوم حتى لُقِب فخر خوارزم فقد ألف في النحو والأمثال وغريب الحديث والتفسير والعروض والفقه ونحو ذلك وله ديوان شعر .

شيوخه :

أخذ أبو القاسم الزمخشري عن شيوخ عديدين أشهرهم : أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني النحوي, كان .كما ذكر ياقوت . يلقب بفريد العصور وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب , وهو الذي أدخل إلى خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلقُ لجلالته . أنظر (معجم الأدباء ج19 / 123) . ومن الذين أخذوا بمذهبه أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري الأندلسي(أنظر (بغية الوعاة ص 387) . وقدم الزمخشري بغداد وسمع من أبي الخطاب أنظر (شذرات الذهب ج4 / ص 118) .

تلامذته :

وظهر للزمخشري تلامذةٌ عدةٌ أشهرهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي الملقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ . أنظر (معجم الأدباء ج15 / ص61) , ومنهم أيضاً محمد بن القاسم بن بايجوكالبقالي الخوارزمي الآدمي النحوي أبو الفضل الملقب زين المشايخ , وغيرهم . انظر (معجم الأدباء ج19 / ص5)

آثاره :

ألف الزمخشري كتباً حسنةً كثيرةً, ولكن سأختار كتاباً واحداً حسبما أملأه علي منهجي في الدراسة , وهو كتاب "المفصل " الذي عني أشدّ العناية بالناحية النحوية , ويعد من أجل الكتب النحوية وأعظمها , وسأتناوله بشيء من التفصيل :

مكانته :

يعد " المفصل " من أشهر الكتب التي وجدت رواجاً من قبل الدارسين فقد أولوه أهمية , شرحه كثير من الشّراح الذين قاموا بشرحه والتعليق عليه , وبلغ من تعظيم قدر هذا الكتاب أنه شرط الملك المعظم عيسى الأيوبي لمن يحفظه مائة دينار وخلعة . أنظر (تاريخ آداب اللغة العربية ج3/ ص47) .

وقال ابن يعيش في مقدمته ل " شرح المفصل " إنّ هذا الكتاب جليل قدره , نابه ذكره , قد جمعت أصول هذا العلم فصوله , وأوجز لفظه فيسّر على الطالب تحصيله ," ويعده النقاد ثاني كتاب في النحو بعد كتاب سيبويه " .

ويذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي : (أنّ جماعة المتأخرين جاؤا بمذهبهم في الاختصار والاستيعاب لجميع أبواب العلم فوضعوا أهمّ كتب النحو وأكملها وأدقها , وأكثرها تهذيباً وتنقيحاً ومن أشهرهم الزمخشري صاحب " المفصل " في النحو وابن الحاجب .

وذكر الأستاذ عبد الحميد حسن : (أنّه ليس في الكتب التي بينه وبين كتاب سيبويه مما وصل إلينا كتاب عالج المباحث النحوية علاجاً شاملاً كاملاً فإنما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة أو في مباحث صرفية هي أقرب إلى الصيغة اللغوية ... فكتاب " المفصل " يعتبر مرحلة تامة النمو) أنظر (القواعد النحوية / ص267) .

وقال الزمخشري في مقدمته لكتاب " المفصل " (ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأدب إلى معرفة كلام العرب . وما بي من الشفقةِ والحدبِ على أشياعي من حفدة الأدب لإنشاء كتاب في

الإعراب محيط بكافة الأبواب , مرتب ترتيبا يبلغُ بهم الأمد البعيد بأقرب السعي ويملأ سجالهم بأهون السقي . فأنشأتُ هذا الكتاب المترجم بكتاب " المفصل في صنعة الإعراب " أنظر (المفصل ج1 / ص8).

قال صاحب " كشف الظنون " وهو كتاب عظيم القدر كما قيل فيه :

إذا ما أردتَ النحوَ هاكَ محصلاً ××××××××××× عليكَ مِنْ الكتبِ الحسانِ مفصلاً

وقال الآخر :

مفصلُ جارُ اللهِ في الحسنِ غايةٌ ×××××××××× وألفاظُهُ فِيهَا كدرٌ مفصلُ

ولولا التقى قلتُ : " المفصلَ " معجزَ ×××××××××× كآي طوالِ من طوالِ " المفصل "

أنظر (كشف الظنون ج2/ ص 1774) وكان شروعه في تأليفه في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة , وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وتُرجِم إلى الألمانية وطُبِع سنة 1873 ونشره برخ سنة 1859 وطبعه مرة أخرى سنة 1879 أنظر (بروكل مان ج1 /ص290) .

شروحه :

لا غرو . بعد هذا . أنْ تتناوله كثرة منْ أئمةِ النحو بالشرح والتعليق ومن أشهر شروحه :

1 . شرح للمؤلف ومنه نسخة بليدن 164 . فينا 154 .

2 . شرح الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى 606 هجرية .

3 . شرح محمد بن سعد المروزي المتوفى .609

4 . شرح الشيخ أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي المتوفى سنة 616 هجرية واسمه " الإيضاح " وقيل " المحصل " وهو موجود في القاهرة . لاحظ " الفهرست " ط2 / ج2 /ص127 و157 . ومختصرٌ منه بعنوان " المسترشد "

5 . شرح أبي محمد مجد الدين القاسم بن الحسين المعروف بصدر الأفاضل للخوارزمي (المتوفى سنة 617 هجرية) , وله عليه ثلاثة شروح بسيط واسمه " التخمير " ومنه نسخة في المتحف البريطاني . الملحق 927 ودمشق . ظاهرية 67 , عمومية 75 وسيط ومختصر. وفي "بغية الوعاة " أنّه صنّف " المجمرة " في شرحه وهو صغير .

6 . شرح أبي العباس أحمد بن محمد البكري (المتوفى 620 هجرية) .

7 . شرح أبي العباس أحمد بن أبي بكر الخاوراني (المتوفى 610)

8 . شرح موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي المعروف بابن يعيش النحوي (المتوفى سنة 643 هجرية) , طُبِع بالقاهرة ونشره يان في ليبسك سنة 1882 بجزأين . أنظر (بغية الوعاة ج2 / 351) .

9 . شرح علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (المتوفى سنة 643 هجرية) وله عليه شرحان , الأول : " المفصل " بأربعة مجلدات ومنه نسخة في لندن 165, باريس 4004 (قطعة منه) اسكوريال 61 والآخر " سفر السعادة وسفير الإفادة " ومنه نسخة في برلين 7049 , القاهرة " الفهرست " 3/ 566 دمشق عمومية 86 , الظاهرية 79 . أنظر (بغية الوعاة ج2 / ص192) .

10 . شرح مجيب الدين وقيل : محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (المتوفى سنة 643 هجرية) .

11 . المنتخب بن أبي العز بن رشيد أبي يوسف الهمذاني المقرئ (المتوفي سنة 643 هجرية

12 . شرح الشيخ أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب برقم 16050 , ميونخ 693 , الإسكندرية 4 نحو وغيرها .

13 . شرح الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي (المتوفى سنة 646 هجرية) .

14 . شرح محمد بن محمد المعروف بابن عمرو الحلبي (المتوفى سنة 649 هجرية)

15 . شرح عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري (المتوفى سنة 651 هجرية) واسمه " المفصل " ومنه نسخة في الاسكوريال 61 , إلى غير ذلك من الشروح , فقد ذكر (بروكلمان) أن 24 شرحاً وشرحين للشواهد ومختصرين ومنظومتين وردت في الفهرس الذي عمله آلورت لمكتبة برلين برقم 6522.

جهود الزمخشري النحوية:

فهنا يتم عرض جهود الزمخشري من نهجه وفكره النحوي وطريقة استشهاده بالقراءات والحديث النبوي والمآخذ عليه وتتبع ذلك كله واستقرائه ثم الوصول إلى نتائج.

طريقة تأليفه :

بدأ التأليف النحوي مختلطاً غير منسق حتى القرن الرابع, ثم ظهر بعد ذلك التنسيق والتنظيم عند أبي علي الفارسي في كتابه "الإيضاح " وعند تلميذه ابن جني في كتابه " اللمَّع " وقد عاصر الحريري في منظومته " ملحة الإعراب " وابن الأنبا ري في كتابه " أسرار العربية " نَحَوِيّنا الزمخشري.

ولم يكن ثمة اتفاق على ترتيب معين في التأليف وإنما هو أمر راجع إلى اجتهاد المؤلف,وإلى ما يلحظه وما يراه من أسس، ألف الزمخشري كتابه " المفصل " وأنهاه في غرة المحرم سنة 515 هجرية وسماه " المفصل في صنعة الإعراب " ومعلوم أنه ليس مختصاً بالإعراب وصنعته وإنما يشمل بحوثاً صرفية ولغوية وإضافة إلى البحوث النحوية، ولأول مرة نجد أنَّ المؤلفَ يعرض

منهجه في التأليف في مقدمة الكتاب مما لم نعهده عند المؤلفين السابقين له في هذا الباب فيقول: (فأنشأتُ هذا الكتاب المترجم بكتاب " المفصل في صنعة الإعراب " مقسماً أربعة أقسامٍ:

القسم الأول : في الأسماء.

القسم الثاني : في الأفعال.

القسم الثالث : في الحروف.

القسم الرابع : في المشترك من أحوالِها ... ولم أدّخره فيما جمعتُ فيه من الفوائد المتكاثرة ونظمتُ من الفرائد المتناثرة مع الإيجاز غير المخل . والتلخيص غير الممل .)

القسم الأول : الأسماء

حيث بدأ بتعريف الاسم فقال في تعريفه : " الاسم ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران " وقد قصد بقوله " دلالة مجردة " أي مجردة عن الزمن وذكر أصنافاً متعددة للاسم من ذلك اسم جنس واسم عين واسم علم الذي يندرج تحته أقسام منها المفرد والمركب والمنقول والمرتجل , ومثلّ لكل نوع".

وعرض في هذا القسم الاسم وخصائصه من جنس وعلم , وذكر من أصنافه الاسم المعرب وغيره ثمَّ ذكر وجوه إعراب الاسم وبدأ بالمرفوعات ,وبحث فيها الفاعل , المبتدأ والخبر, خبر إنّ ولا النافية للجنس واسم ما ولا المشبهتين بليس .

ثمَّ المنصوبات وبدأ بالمفعول المطلق فالمفعول به فالمنادى والتحذير والمضمر على شريطة التفسير (ويعني به الاشتغال غير أنّه لم يسمه الاشتغال) فالمفعول فيه , المفعول معه , والمفعول له , الحال , التمييز, الاستثناء, خبر كان , اسم إنَّ, اسم لا النافية للجنس, خبر ما ولا المشبهتين بليس , ولات , ثمَّ المجرورات وبحث فيه الإضافة .ثمَّ التوابع ثمَّ الاسم المبني وبحث فيه المضمر, الإشارة , والموصولات, أسماء الأفعال والأصوات , الظروف المبنية , المركبات, الكنايات .

ثمَّ عرض للمثنى والجمع والمعرفة والنكرة والمذكر والمؤنث , المصغر , المنسوب , العدد , المقصور والممدود , ولأسماء المتصلة بالأفعال , المصدر, اسم الفاعل , المشتقات .

وعرض في قسم الأفعال : الماضي , المضارع ووجوه إعرابه, الأمر , الفعل المتعدي وغير المتعدي , الفعل المبني للمفعول , أفعال المقاربة , أفعال القلوب , الأفعال الناقصة , فعلا المدح والذم ،الفعل الثلاثي المجرد والمزيد . الفعل الرباعي المجرد والمزيد .

وعرض في القسم المشترك للإمالة والوقف , القسم , تخفيف الهمزة , التقاء الساكنين, أوائل الكلم , زيادة الحروف, ابدال الحروف, الاعتلال , الإدغام .

ووجه ابن الحاجب نقداً لبحث الاسم المعرب في قسم الأسماء مع أنّ ظاهرة مشتركة في الأسماء والأفعال وهو خلاف المنهج الذي التزمه .

وقدم الزمخشري اعتذاراً عن بحثه في هذا القسم فقال : " إنَّ حقَ الإعراب للاسم في الأصل والفعل إنّما تطفل عليه بسبب المضارعة " قال ابن الحاجب : " وهذا اعتذار غير قوي, فإنّ فيه تسليم الاشتراك ولم يفرق بينهما إلا باعتبار كون ذلك أصلاً وهذا فرعاً وقد وقع في المشترك مثل ذلك فإنّ الإعلال أصل في الأفعال فرع في الأسماء ومع ذلك قد ذكره في قسم المشترك .

ومقتضى هذا أنْ يذكر المعتل من الأفعال في الأفعال لأنها أصل فيه والمعتل من الأسماء في الأسماء لأنه فرع كما ذكر ذلك في الإعراب "

واعتذر الزمخشري اعتذاراً آخر هو أنّه لا بد من تقدم معرفة الإعراب للخائض في سائر الأبواب يعني أنَّ الحاجة لما كانت لمن شغل في هذا العلم داعية إلي تقدم معرفة الأبواب اقتضي ذلك تقديمه وإنْ كان من قبيل المشترك .

قال ابن الحاجب : " وهذا أيضاً غيرَ سديدٌ فإنّه لو كان كذلك لوجب أنْ يقدم أيضاً إعراب الأفعال لأنّ الحاجة إليه كالحاجة إلى إعراب الأسماء .

قال ابن الحاجب : " وكان الأولى تعليله بغير ذلك وذلك أنَّ الإعراب في الأسماء ليس هو الإعراب في الأفعال في المعنى وإنْ اشتركا في قسم الإعراب وفي الفاظِه وذلك أنَّ الإعراب في الأسماء موضوع بإزاء معانٍ يدل عليها فالرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية والجر علم الإضافة وليس الإعراب في الأفعال موضوعاً بإزاء معانٍ فلم يكنْ بينهما اشتراك من حيث المعنى فلذلك ذُكِر كلَ إعراب في موضعه .

اعتداد ثانً هو أنَّ الإعراب المقصود منه هي العوامل فلا مشاركة بين الأسماءِ والأفعالِ في العوامل وغذا وجب ذكر كل قسم في موضعه وجب ذكر إعرابه لأنه أثره ... فاقتضى ذلك أنْ نذكر كل إعراب في موضعه الآخر وهو أنّ من جملة إعراب الأسماء الجر ولا مشاركة بين الأسماء والأفعال فيه (انظر شرح المفصل لابن يعيش ج1/ ص49)

وعل أيُ حالٍ فهو تأليف حسب منهج معين يصدر عن فكرة وضعها المؤلف أمام أعيننا واعتذر عما رآه يوجب الاعتذار مما يُظَن أنّه لا ينسجم مع ما وضعه من خطة .

فالجديد عنده هو عرضه لخطة البحث أولاً ثمّ هذا التقسيم الذي اختلف فيه عمن سبقه وذلك بوضع قسم في البحث جديد أسماه (قسم المشترك) .

وبهذا التقسيم الذي رأيناه لم يغفل جانباً من جوانب اللغة و ولذلك شمل المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات .

شواهده :

استشهد الزمخشري في كتابه " المفصل " بـ 424 (أربعة وعشرين وأربعمائة) شاهد شعري

فيها أكثر من تسعين شاهداً لم يعرف لها قائل وأكثر من ثمانين شاهداً مختلفاً في نسبته إلى قائل بعينه فيكون فيه أكثر من مائة وسبعين شاهداً مما لا يعرف قائله الحقيقي .

كما استشهد فيه بالقرآن الكريم والقراءات ورجّح وضعّف كما يصنع سائر النحاة .(انظر المفصل ج1/ 311/ج2/ 17/ ج2/ 196 / ج2/ 219/ ج2/ 244).

أما الاستشهاد بالحديث فقد أخذ حيزاً مقدراً في صلب كتابه " المفصل " وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أنا أفصحُ العربِ بيد أني من قريش " هذا القول منه صلى الله عليه وسلم لم تترك مجالاً لأحدٍ أنْ يجادل أو يناقش فكان هذا القول الفصل . ونعلمُ جميعاً أنّ نفراً من النحاة لم يستشهدوا بالحديث ,لأسباب منها :

1. لأنّ الوضع قد كثر في الحديث .

2. لأنّ بعض الحديث رُوي بالمعنى .

3. أنّ الحديث وقع فيه لحنٌ كثير , لأنّ أغلب رواته أعاجم لم يتقنوا اللغة العربية .

وكان من أوائل النحاة الذين استشهدوا بالحديث , ابن مالك وقد أكثر من الاستشهاد بالحديث , والذي يهمُنا في هذا الموضع هو موقف الزمخشري من الاستشهاد بالحديث , فقد سار في درب ابن مالك , ونجد ذلك في مواطنٍ كثيرةٍ من كتابه , " المفصل"

. (انظر المفصل ج2/ ص 46/ 72/ 79/ 88/ 244/ 255)

موقفه من الشواهد :

إنّ النحاة يستشهدون بالقرآن الكريم بل يجعلونه في رأس الشواهد النحوية , غير أنّهم قد يلحنّون ويضعِّفون ويردون طائفةً من القراءات ولو كانت من القراءات السبع المتواترة .

فما موقف أبي القاسم الزمخشري منْ ذلك ؟ إنّ أبا القاسم الزمخشري لا يختلف عن عموم النحاة في ذلك فهو كما يستشهد بالقرآن الكريم يردُ ويضعفُ ويلحنُ ويرجحُ طائفةً من القراءات على طائفةٍ ويستعينُ ببعضها على إثبات رأي نحوي .

قال : " توابع المنادى المضموم غير المبهم إذا أُفردت حُمِلت على لفظه ومحله كقولك : يا زيدُ الطويلُ والطويلَ ... وقرئ (والطيرُ) و(الطيرَ) رفعاً ونصباً " (أنظر المفصل / ج1 / 110) فهنا يبدو الزمخشري يرجح قراءة الجمهور.

وقال في قوله تعالي : " نَخْسِف بِهِمُ " سبأ الآية 9, وقُرِئ بإدغامها في الباءِ وهو ضعيف تفرد به الكسائي، وللحافظ على اللغة من الاندثار فنجد الزمخشري هنا يستشهد به القراءات الشاذة فيما سبقه من قبله الكسائي .

الحديث النبوي الشريف :

كان عموم النحاة لا يستشهدون بالحديث النبوي الشريف لأسباب دعتهم الى ذلك.

وهناك من النحاة من استشهد بالحديث النبوي الشريف مثل ابن خروف وابن مالك وابن هشام وغيرهم.

وفي الحق أن يوضع الزمخشري في أوائل الذين يستشهدون بالحديث النبوي الشريف في النحو.

فمن استشهاده به في النحو ما جاء في "المفصل" أن حَيّهَلْوحَيّهْلَوحيهلا جاء معدى بنفسه وبالباء وبإلى وبعلى وفي الحديث: " اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر" (أنظر المفصل ج 2/ 46).

وجاء فيه أن العلم المثنى والجمع يعرف بأل وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: "هؤلاء المحمدون بالباب" (أنظر المفصل ج2 /41).

المآخذ على كتاب "المفصل" :

لم يسلم كتاب "المفصل" هذا من النقد بالرغم مما بلغه من مكانة عالية, فقد صنف أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي الأندلسي (المتوفي سنة 625هـ) من أهل الجزيرة في رد "المفصل" كتابا سماه كتاب "التنبيه " على أغلاط الزمخشري في "المفصل" وماخالف فيه سيبويه (أنظر البحر المحيط ج 8 /303 ، التصريح ج2 /210 , كشف الظنون ج2/ 1776)

وكتب محمد بن عبدالله بن أبي الفضل المرايسي (المتوفى سنة 655هـ) تعليقه على "المفصل" أخذ فيها على الزمخشري سبعين موضعا أقام على خطئه البرهان (أنظر كشف الظنون ج1774/2).

ولعل من بين ما أُخذ عليه :

1. ذكر الزمخشري أنه إذا اجتمع للرجل اسم علم مضاف أو كنية ولقب أجرى اللقب على الاسم فقيل هذا عبدالله بطة وهذا أبو زيد قفة (أنظر شرح المفصل لابن يعيش ج33/1) ولم يذكر أنه يجوز مع ذلك القطع إلى الرفع أو النصب (أنظر شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين ج107/1 , شرح التصريح ج122/1).

2. ذكر أن العلم منقول ومرتجل, وقال إن المرتجل على نوعين (المفصل ج21/1) ولم يشرح المقصود بكلمة (مرتجل) كما يفعل النحويون (أنظر الاشموني ج131/1, حاشية الصبان على شرح الاشموني دار أحياء الكتب العربية ج131/1)

3. ذكر أن الاسم المعرب على نوعين : نوع يستوفي حركات الإعراب والتنوين كزيد ورجل ويسمى المنصرف ونوع يختزل عنه الجر والتنوين ويسمى غير المنصرف (أنظر المفصل ج16/1) وكان الأولى أن يقول : والاسم المعرب بالحركات على نوعين , لئلا يدخل فيه ما يعرب بالحروف أن لم يرد ذكرها, كما عليه ان يذكر مع المعرب بالحركات قسما ثالثا وهو المؤنث السالم.

4. ذكر أن الخبر الجملة على أربعة أضرب : فعلية واسمية وشرطية وظرفية (أنظر المفصل ج23/1 , الأنموذج 4.3) ,علما بأن الشرطية من قبيل الفعلية, والظرف بحسب ما يقدر متعلقة فان قدر (كائنا) فهو من قبيل الخبر المفرد وإذا قدر استقر فهو من قبيل الجملة الفعلية.

5. ذكر أنه لابد في الجملة الواقعة خبرا من ذكر يرجع إلى المبتدأ, وقد يكون الراجع معلوما فيستغنى عن ذكره وذلك في مثل قولهم :"البَرَّ البَرُّ بستين, والسمن منوان بدرهم" (أنظر المفصل ج23/1) علما بأنَّ قسما من الجمل لا يحتاج إلى ربط, وذلك إذا كانت جملة الخبر هي المبتدأ في المعنى نحو: نطقي الله حسبي، قال ابن مالك:

وإن تكنْ إيَاهُ مَعْنَى اكْتَفَى بها كنطقِي الله حَسْبِي وكَفَى (شرح ابن عقيل للقاضي بهاء الدين عبدالله بن عقيل ج202/1م). ونكتفي بهذا القدر, وهو ليس على سبيل الاستقصاء، ومما سبق يبدو أنَّ الزمخشري قصر بعض المسائل ولم يذكر تعليلاتها في كتابه المفصل .

الخاتمة :

هذا الذي قدمناه عن الزمخشري وصنيعه كتاب " المفصل " يُعدُ غيضاً من فيض قصدنا فيه أنْ نُسلط الضوء على هذا السفر العظيم الذي نهل منه طلاب العلم والباحثون قديماً وحديثاً ومن خلال ما قدمناه نستطيع أن ندركَ بعض النتائج المهمة والتي من بينها الآتي :

1. وُفِق الزمخشري في تقسيمه لكتابه " المفصل " حيث تمَّ تقسمه إلى الأسماء والأفعال والحروف وهو بهذا التقسيم لم يغفل أي جانب من جوانب اللغة أي كل فروع النحو تقريباً .

2. لم يركن الزمخشري إلى من خالف الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف, بل استشهد به وعده مصدرا من مصادر اللغة .

3. في تناوله للقضايا النحوية لم يكن منحازاً تماما الانحياز لأي مدرسة من المدارس النحوية , بل كانت آراؤه سديدةً تنمُ عن فكره الثاقب .

التوصيات :

توصي الدراسة طلاب العلم والباحثين في اللغة العربية , الاهتمام بهذا الإرث العظيم الذي خلفة القدماء , والبحث في المغمور من كتب العربية .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1/ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم،1948م، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة .

2/ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد(بدون تاريخ) شذرات الذهب، ت: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت.

3/ ابن الأنباري،أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد،1998م، نزهة الألباء في طبقات النحويين والأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت.

4/أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع.

5/أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم.

6/القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف،1950م، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة.

7/السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 1399هـ، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية– ط2، بيروت.

8/الزمخشري، أطواق الذهب في المواعظ والخطب، مطبعة نخبة الأخبار، 1304هـ.

9/ الزمخشري، ديوانه، دار صادر، بيروت، ط1، 1429هـ– 2008م.

10/ الزمخشري، نوابغ الكلم، ط2، 1935هـ – 1354م.

11/ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 2000م، 1421هـ.
12/ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى، النجوم الزواهر في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية بالقاهرة
13/عبد الحميد حسن، القواعد النحوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1953م.
14/ محمد علي الصبان، حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية.
15/كارل بروكلمان، تاريخ الآداب العربية،دار المعارف، ط.5
16/كارل بروكلمان، المفصل في النحو والصرف المقارن للغات السامية، برلين، 1907م.
17/ ياقوت الحموي، معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط1، 1993م.

